الفصل الرابع

الخصائص الفنية لأسلوب

عمر بن أبى ربيعة

تمهيد:

مصطلح "الأسلوب".

تحدث الأستاذ أحمد الشايب فى كتابه عن الأسلوب فقال:

"الأسلوب هو فن من الكلام يكون قصصاً أو حواراً، تشبيهاً أو مجازاً أو كناية تقريراً أو حكماً أو امثالاً فإذا صح هذا الاستنباط كان للأسلوب مَعْنىً أوسع إذ يتجاوز هذا العنصر اللفظ، فيشمل الفن الأدبى الذى يتخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التأثير".(١)

ثم يحدد تعريفه للأسلوب فيقول: "ولا يزال هذا هو تعريف الأسلوب إلى اليوم فهو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعانى قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه".(٢)

ويقرر صاحب كتاب "فلسفة البلاغة" أن الأسلوب هو "الطريقة فى النظم".(٣)

أما جورجى زيدان فيتحدث عن الأسلوب العصرى الذى تفتقر إليه البحوث القديمة، لأنها "تفتقر فى تأديتها إلى إعمال الفكرة من حيث ترتيبها، وسكبها فى عبارة سهلة تخلو من الركاكة والتعقيد".(٤)

---

(١) الأسلوب الأستاذ أحمد الشايب ص ٤٢ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٥٥م.
(٢) الأسلوب ص ٤٤ .
(٣) فلسفة البلاغة جبر ضومط ص ١٠ الطبعة العثمانية لبنان ١٨٩٨ م .
(٤) تاريخ آداب اللغة العربية جورجى زيدان ٥١٢ بتحقيق د.شوقى ضيف . ط الهلال .

ويتحدث الأستاذ مصطفى صادق الرافعى عن أسلوب العرب قبل نزول القرآن بأن أسلوب الكلام كان قبيلاً واحداً، وجنساً معروفاً: ليس إلا الحر من المنطق والجزل من الخطاب، وإلا اطراد النسق، وفصاحة العبارة.(١)

وكذلك يشير الأستاذ أحمد مصطفى المراغى إلى الأسلوب فى خضم حديثه عن صفات من يتصدى لبيان إعجاز القرآن بأن يكون له "قلم أطوع من بنانه، حتى يتاح له بواضح البرهان، وبديع البيان، أن يوضح خصائص التراكيب، ولطائف الأساليب التى هى من أسرار التنزيل".(٢)

وينوه الأستاذ أحمد ضيف عن مفهومه للأسلوب. ويرى أن الأسلوب بمعنى: جزالة الألفاظ، أما الخلاف بين القدماء والمحدثين عند العرب. فهو على العكس فإنه ليس فى الموضوعات، ولا فى الأفكار، ولا فى أصل البلاغة، وإنما هو فى الأسلوب فقط.(٣)

أما الأستاذان على الجارم ومصطفى أمين فيعرّفان الأسلوب بأنه المعنى المصوغ فى "ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعل فى نفوس سامعيه".(٤)

ويعرّف الأستاذ أحمد حسن الزيات الأسلوب بأنه: "طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة فى اختيار الألفاظ وتأليف الكلام. وهذه الطريقة فضلاً عن اختلافها فى الكتاب والشعراء تختلف فى الكاتب أو الشاعر نفسه باختلاف الفن الذى يعالجه والموضوع الذى يكتبه، والشخص الذى يتكلم بلسانه أو يتكلم عنه، ولكن الأساليب مهما اختلفت باختلاف الأفراد، وتنوعت بتنوع الأغراض، فإنها تتسم جميعاً بسمات واحدة من عبقرية الأمة، ومنطق ذلك أن الصفات المشتركة فى آحاد الأمة تتلاقى وتتجمع فتكون

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية مصطفى صادق الرافعى ١٨٨/٢ دار الكتاب العربى بيروت.
(٢) علوم البلاغة أحمد مصطفى المراغى ص ١١ المطبعة الحديثة القاهرة ١٩١٥ م.
(٣) مقدمة لدراسة بلاغة العرب أحمد ضيف ص ١٧٧ الطبعة الأولى سنة ١٩٢١ م.
(٤) البلاغة الواضحة على الجارم ومصطفى أمين ص ١٣ مطبعة المعارف سنة ١٩٣٩م.

خصائصها التى تميزها من سواها، وهذه الخصائص نفسها تتطلّع فى لغتها فتكون طرازاً عاماً فى كل أسلوب، وعلى قدر ما تكون هذه الخصائص فى الأمة تكون قابلية الأساليب فيها للاختلاف .... ".(١)

ويشير الأستاذ أمين الخولى إلى الأسلوب فى معرض حديثه عن درس فن القول فيقول:

"دراسة الكلمة والجملة فى الفقرة، وصور التعبير، والقطعة الأدبية، ثم دراسة الأساليب، من حيث هى: طراز فى الإخراج والعرض تميز عمل الأديب، مثل الأسلوب الرمزى والفكاهى والتهكمى فى علم أدبى كامل ..... ".(٢)

ويرى د. منير سلطان أن الأسلوب "هو النوع الأدبى الذى يختاره الفنان ليتخذه وسيلة لعرض أفكاره شعراً أو نثراً أو رسماً أو موسيقا ....." والأسلوب: هو السمة أو مجموعة الخصائص الفنية العامة التى تردت فى مجموع نتاج فنانٍ ما ، حتى صارت عَلماً عليه وصار هو علماً عليها.

والأسلوب هو طريقة اختيار الفنان لتراكيبه اللغوية، وصوره الفنية، وإيقاعاته الموسيقية فى عمله الفنى.

والأسلوب بمعنى اختيار النوع الأدبى معنى واسع، وبمعنى الطريقة الخاصة المميزة فى الكتابة معنى خاص بالفنان نفسه، وموهبته، وثقافته، ومقوم الفن عنده، وظروفه التى يعيشها أو عاشها ... إلخ كل هذا يدخل فى إطار النقد الأدبى.

أما الأسلوب الذى يعنى: طريقة اختيار التراكيب والصور والإيقاعات، فهذا الذى يخص العمل الفنى نفسه، وما يهم البلاغة والبلاغيون المحدثون".(٣)

ويتابع د.منير سلطان حديثه عن الأسلوب فيقول:

---

(١) دفاع عن البلاغة أحمد حسن الزيات ص ٣٦ ط الرسالة ١٩٤٥ م القاهرة .
(٢) فن القول أمين الخولى ص ١٠٥.
(٣) بديع التراكيب فى شعر أبى تمام د.منير سلطان ٢/٣٣٠.

"والأسلوب بهذا المعنى الخاص (اختيار التراكيب و..) هوالبلاغة، وتكون البلاغة أدوات (تراكيب، وصور، وإيقاع) وتوظيف خاص لهذه الأدوات . وفى التوظيف تكمن روح الفنان وموهبته وطبيعته الفنية وقدراته وتميزه".(١)

ويختلف الأسلوب بمعنى "اختيار التراكيب" عن "علم الأسلوب" أو الأسلوبية فى أن الأول أعم والآخر أخص، الأول أوسع وأرحب والآخر أضيق وأكثر تجديداً، الأول يحتوى فيما يحتوى على الآخر بينما الآخر منهج من المناهج المتبعة فى الكشف عن تميز الفنان فى هذا الاختيار بجوار المنهج الجمالى والرومانسى والنفسى....(٢) من هذا المنطلق أحاول أن أدرس أسلوب عمر، مرتكزاً على أنه شاعر له طريقة تنسب إليه فى اختيار التركيب اللغوية والصور الفنية والإيقاع الموسيقى .

وتعتمد دراستى لأسلوب عمر على ركيزتين :

الأولى : الاعتماد على الديوان فهو الفيصل فى استخراج الآراء والأحكام البلاغية .

الثانية: الاعتماد على الإحصاء بقدر الإمكان للاقتراب من الموضوعية ، ولا أقول : الموضوعية المطلقة .

أما الأسلوب عند عمر فإنه يرتكز على ظاهرة متواترة تستحق الإشارة إليها ودراستها وهى الحوار فى شعره القصصى، حيث يرتكز الشاعر فى شعره القصصى على الحوار بينه وبين محبوباته أو بينه وبين أصدقائه أو ذلك الحوار الذى يجيء على لسان المحبوبات وأصدقائهن .. إلخ وسيلة لإظهار مشاعره وأحاسيسه تجاه من يحب أو إظهار مشاعر محبوباته نحوه. ورد الحوار عند عمر فى اثنتين وتسعين قصيدة من القصائد الكلية التى تصل إلى اثنتين وثلاثين وثلثمائة قصيدة شعرية، معنى ذلك أن الحوار عند عمر يمثل سبعة وعشرية بالمائة من شعر عمر، وذلك يعنى أن الحوار سمة لأسلوب عمر.

---

(١) المرجع السابق ٢/٣٣١ .

(٢) اللغة والإبداع . شكرى عياد الطبعة الأولى ١٩٨٨ م ص ٣٢ وما بعدها .

وأقـــول: إن أسلوب ابن أبى ربيعة يتميز بالحوار أو يتخذ الحوار ركيزة له.

وينقسم الحوار عند عمر قسمين:

القسم الأول: هو حواره مع محبوباته، فعمر هو الذى يبدأ الحوار وهو الذات المحركة له، ويمثل هذا القسم ثمانية وعشرين بالمائة من شعره القصصى (٢٨٪) حيث ورد فى ستٍ وعشرين قصيدةً من مجموع اثنتين وتسعين قصيدة.

أما القسم الثانى: فيأتى الحوار على لسان محبوبات عمر، فهن البادئات بالحوار، المحركات له، المعبرات عن مشاعرهن من خلاله، ويمثل هذا القسم اثنتين وسبعين بالمائة من شعره (٧٢٪) حيث ورد الحوار فى خمس وستين قصيدة (٦٥) من مجموع اثنتين وتسعين قصيدة ، وقد يجيء الحوار عند عمر ليوضح رغبته فى لقاء محبوبته.

أَلاَ إِنَّـــى عَـــشِيَّةَ دَارِ رَيْـــطٍ ... عَلَـــى عَجَـــلٍ أَرَدْتُ بِـــأَنْ أَقُـــولاَ

أَنِيلِـــى قَبْـــلَ وَشْـــكِ البَيْـــنِ إِنِّـــى ... أَرَى مُكْثِـــى بِـــأَرْضِكُمُ قَلِـــيْلاَ

فَهَـــرَّتْ رَأْسَـــهَا عَجَبَـــاً وَقَالَـــتْ: ... عَـــدَرْتَكَ لَـــوْ تَـــرَى مِـــنْهُمْ غُفُـــولا

وَلَكِـــنْ لَـــيْسَ يُعْـــرَفُ لِـــى خُـــرُوجٌ ... وَلاَ تَـــسْطِيْعُ فِـــى سِـــرٍّ دُخُـــولا ١٨٢/١-٤

يجسد الحوار بين عمر ومحبوبته حرص عمر على لقائها، والحديث معها، وتوديعها قبل الرحيل، والحوار بينهما فيه عجلة وسرعة خوفاً من الأهل والرقباء "على عجل أردت بأن أقولا"، ولا يبتعد عمر فى حواره عن الخوض فى مغامراته النسائية ويجسد ذلك فعل الأمر "أنيلى". ويجيء رد المحبوبة على طلب عمر بالرفض والإنكار، وقد هزت رأسها عجباً من طلب عمر ورفضاً؛ لأن الظروف غير متاحة فلا هى تستطيع الخروج، ولا هو تستطيع الدخول.

وفى حوار آخر يطلب عمر من "أم الربيع" اللقاء فتوافق على الفور يقول عمر:

بِنَـــى لَـــسَائِلُ أُمَّ الرَّبِيـــعِ قَبْـــلَ اَلْـــوَدَاعَ مَتَاعَـــاً طَفِيفَـــا

مَتَاعَـــاً أَقُـــومُ بِـــهِ لِلْـــوَدَا عِ إِنِّـــي أَرَى الـــدَّارَ فِيْهَـــا قَـــدُوفَا

فَقَالَـــتْ: بِحَاجَـــةِ كُـــلُّ نَطَلَقْـــتَ فَأَقْبَـــلْ وَأَرْسِـــلْ رَسُـــولاً لَطِيفَـــا

إِلَـــى مَوْعِـــدٍ وَدَّ لَـــوْ أَنَّـــهُ خَـــلاَلاً لاَ يُـــرَوِّعُ فِيـــهِ الـــصُّرُفَا

وَمِـــنْ عَجَـــبٍ ضَـــحِكَتْ إِذْ رَأَتْ قُرَيْبَةُ بِالْخَيْفِ رَكْباً وُقُوفَا ١/٣١٥-٥

يظهر الحوار بين عمر و"أم الربيـــع" حب عمر الشديد، ولذلك فهو حريص على توديعها قبل الرحيل، ويعكس الحوار رغبة "أم الربيـــع" فى لقاء عمر، ووداعه "فقالت: بحاجة كـل نطلقت"، ولذلك فهى تدعوه للقائها وتطلب منه أن يرسل رسولاً، ويحدد موعداً لا يعكر صفوهما معكر فيه. وفى حوار آخر ينصح ابن أبى عتيق عمر بأن يهجر "سليمى" محبوبته، ولكن الشاعر يرفض يقول:

إِنَّ هَمِّـــى قَـــدْ نَفَـــى النَّـــوْمَ عَنِّـــى وَحَـــدِيثُ الـــنَّفْسِ قِـــدْمَاً وَلُـــوعُ

فَـــالَ لِـــى فِيهَـــا عَتِيـــقٌ مَعَـــا مَقَـــالاً فَجَـــرَتْ مِمَّـــا يَقُـــولُ الدُّمُـــوعُ

قَـــالَ لِـــى : وَدِّعْ سُـــلَيْمَى وَدْعَهَـــا فَأَجَـــابَ الْقَلْـــبُ أَنْ لاَ أُطِيـــعُ

لاَ تَلُمْنِـــى فِـــى اشْـــتِيَاقِى إِلَيْهَـــا وَابْـــكِ لِـــى مِمَّـــا تُجِـــنُّ الـــضُّلُوعُ ٣/٧٢-٦

يوضح الحوار بين عمر، وابن أبى عتيق – صديقه – مدى حب عمر لمحبوبته ورغبته فى وصلها، وحزنه لأنها هجرته، وقد توجه ابن أبى عتيق إلى عمر بالنصيحة كى يرحم نفسه من الهم والألم، ولكن عمر رفض نصيحة صاحبه واستجاب لنداء قلبه.

وقد يجيء الحوار فى شعر عمر لتبرير سلوك خاطئ، مرفوض من المجتمع ووضع ذلك فى صورة مزركشة تحركها العواطف والمشاعر المتأججة وأعنى بذلك تلك المغامرات الليلية التى يحكى عنها الشاعر حيث يدخل على المحبوبة على حين غفلة من الأهل والحراس ويعلل ذلك بأن الهوى والحب هما اللذان أتيا به ومن أمثلة ذلك قوله:

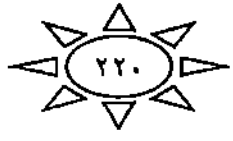

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئَتْ ... مَصَابِيحُ شَبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنْوُرُ

وَغَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَهْوَى غُيُوبَهُ ... وَرَوَّحَ رُعْيَانٌ وَنَوَّمَ سُمَّرُ

وَخُفِّضَ عَنِّي الصَّوْتُ فَاقْتَلْتُ مِشْيَةً ... الْحُبَابِ وَشَخْصِي خَشْيَةَ الْحَيِّ أَزْوَرُ

فَحَيِيَتْ إِذْ فَاجَأْتُهَا فَتَوَلَّهَتْ ... وَكَادَتْ بِمَخْفُوضِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ

وَقَالَتْ وَغَضَّتْ بِالْبَنَانِ فَضَحْتَنِي ... وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَيْسُورُ أَمْرِكَ أَعْسَرُ

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَتَعْجِيلُ حَاجَةٍ ... سَرَتْ بِكَ أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتَ تَحْذَرُ؟

فَقُلْتُ لَهَا: بَلْ قَادَنِي الشَّوْقُ وَالْهَوَى ... إِلَيْكِ، وَمَا نَفْسٌ مِنَ النَّاسِ تَشْعُرُ

فَقَالَتْ وَقَدْ لَانَتْ وَأَفْرَحَ رَوْعُهَا: ... كَلَاكَ بِحِفْظِ رَبِّكَ الْمُتَكَبِّرُ

فَأَنْتَ أَبَا الْخَطَّابِ، غَيْرُ مُدَافِعٍ ... عَلَيَّ أَمِيرٌ مَا مَكَنْتَ مُؤَمَّرُ ١/٢٥-٣٣

يتكىء عمر على الحوار لينتقل لنا بالصورة والصوت معاً إحدى مغامراته الليلية مع حبيبته "نعم"، ويمهد الشاعر لحدثه بانطفاء الأضواء، وفقد الصوت، ونوم الساهرون وغياب القمر، ولذلك جاء عمر يمشي مِشيَة الحباب، ويكشف الحوار بين ابن أبي ربيعة ومحبوبته عن هول المفاجأة التي شعرت بها "نعم" عندما دخل عليها عمر، وعن قلقها وخوفها، واضطرابها لدرجة أنها كادت أن ترد التحية عليه بصوت مرتفع، ويظهر الحوار رد فعل المحبوبة تجاه عمر بالقول والحركة فقد عضت على إصبعها غيظاً، وقالت له أتريد فضيحتي ثم تساءلت عن سبب حضوره في هذا الوقت أتعجيل حاجة أم لأن الأهل والرقباء قد ناموا ؟ وبالرغم من كل ذلك يأتي رد عمر هادئاً، ليناً ينم عن حالة نفسيه هادئة فهو قد جاء؛ لأن الشوق هو الذي أمره بهذا، وسرعان ما تهدأ المحبوبة، وتقتنع برأيه، بل وتنفذ له ما يريد.

ويؤدي الحوار دوره في تبرير زيارته لمحبوبته "هند" حيث يقول:

فَلَمْ يَزْعُهَا وَقَدْ تَصَدَّتْ مَجَاسِدَهَا ... إِلَّا سَوَادُ وَرَاءَ الْبَيْتِ يَسْتَتِرُ

فَلَطَمَتْ وَجْهَهَا واسْتَنْبَهَتْ مَعَهَا ... بَيْضَاءَ آنِسَةً مِنْ شَأْنِهَا الخَفَرُ

مَا بَالُهُ حِينَ يَاتِي أَحْتُ مَنْزِلَنَا ... وَقَدْ رَأَى كَثْرَةَ الأَعْدَاءِ إِذْ حَضَرُوا

نَسْبِقُوهُ مِنْ شَقَائِي . أُحْتِ غَفَّلْنَا ... وَشُؤْمُ جَدِّي . وَحَبْلٌ سَاقَهُ القَدَرُ

قَالَتْ : أَرَدْتَ بِدَا عَمْداً فَضِيحَتَنَا ... وَضَرْمَ حَبْلِي وَتَحْقِيقَ الَّذِي ذَكَرُوا

هَلاَّ دَسَسْتَ رَسُولاً مِنْكِ يُعْلِمُنِي ... ولم تَعَجَّلْ إلى أن يَسْقُطَ القَمَرُ

فَقُلْتُ : دَاعٍ دَعَا قَلْبِي فَأَرَّقَهُ ... وَلاَ يُثَابِعُنِي فيكم فَيَنْزَجِرُ

فَبِتُّ أَسْقَى عَتِيقَ الخَمْرِ صَالَطَهُ ... سَهْدٌ مُشَارٌ وَمِسكٌ خَالِصٌ دَفِرُ

٦/١١-١٨

يظهر الحوار فى هذه الأبيات رد فعل آخر من إحدى محبوبات عمر التى زارها الشاعر على حين غفلة من أهلها، ولقد كان رد فعل المحبوبة قوياً ومعبراً عن تدهور حالتها النفسية، ومدى قلقها لزيارة عمر المفاجئة فلقد لطمت وجهها لما رأته، واستنبهت امرأة مقربة من نفسها كى تشتكى لها ما حدث، ولم تتمالك المحبوبة نفسها فراحت تحدث تلك المرأة بحديث أشبه بالنواح، والهذيان فتتساءل مندهشة لماذا جاء وهو يعلم أن الأعداء يترصدون حركته؟ ثم لا تنتظر إجابة من تلك المرأة بل تجيب هى مؤكدة أن سوء حظها هو الذى أتى به وأنه جاء لشقائها ولتحقيق أكاذيب الوشاة ثم تتمالك المحبوبة نفسها وتدرك أن عمر موجود فعلاً وتوجه له سؤالاً لماذا جئت بهذه الهيئة؟

لماذا لم ترسل رسولاً؟ لماذا لم تنتظر بعد سقوط القمر؟ ولكن عمر لم يعبأ بكل هذا ويعلل حضوره بأن الهوى هو الذى جاء به رغماً عنه، والغريب أن المحبوبة بعد كل هذه الثورة، وكل هذا الغضب لا تطرده، ولا تهدده بالأهل أو الحراس ولكن سرعان ما تنغمس فيما أراد، وتنسى كل ذلك.

وقد يجيء الحوار على لسان محبوبات عمر للحديث عنه، ومعرفة أخباره والانشغال بأحواله من ذلك قوله على لسان أسماء:

قَالَتْ لِتِرْبَيْنِ لَهَا عِنْدَنَا ... هَلْ تَعْرِفَانِ الرَّجُلَ المُقْبِلاَ ؟

قَالَتْ فَتَاةٌ عِنْدَهَا مُعْصِرٌ ... تُدِيرُ خَوْرَاوَيْنِ لَمْ تَخْدَلاَ

هَذَا أَبُو الْخَطَّابِ، قَالَتْ نَعَمْ ... قَدْ جَاءَ مَنْ تَهْوَى وَمَا أَغْفَلاَ

١٨٥/١٠-١٣

يظهر الحوار بين أسماء وتربيها، ولع أسماء بالحديث عن عمر، كما يعكس افتتان تربيها به، وبالحديث عنه، ولذلك عندما وجهت أسماء سؤالاً لهما قائلة: هل تعرفان الرجلَ المقبلا – وبالرغم من أن أسماء تعرفه، وأنهما يعرفانه – فترد إحداهما قائلةً:

هذا أبو الخطاب الذى تهواه وتحبه . وقد يكون ابن أبى ربيعة مثار حديث بين مجموعة من النساء كقوله على لسان إحدى محبوباته :

لِلَّتِى قَالَتْ لأَتْرَابٍ لَهَا ... قُطُفٍ فِيهِنَّ أَنْسٌ وَحَفَرْ

قَدْ حَلَوْنَا فَتَمَنَّيْنَ بِنَا ... إِذْ حَلَوْنَا الْيَوْمَ نُبْدِى مَا نُسِرْ

فَعَرَفْنَ الشَّوْقَ فِى مُقْلَتِهَا ... وَحَبَابُ الشَّوْقِ يُبْدِيهِ النَّظَرْ

قُلْنَ :يَسْتَرْضِيْنَهَا : مُنْيَتُنَا ... لَوْ أَتَانَا الْيَوْمَ فِى سِرٍ عُمَرْ

بَيْنَمَا يَذْكُرْنَنِى أَبْصَرْنَنِى ... دُونَ قَيْدِ الْمِيْلِ يَعْدُو بِى الأَغَرّ

قُلْنَ : تَعْرِفْنَ الفَتَى؟قُلْنَ نَعَمْ ... قَدْ عَرَفْنَاهُ ،وَهَلْ يَخْفَى القَمَرْ

٣٣/٦٤-١٠

يكشف الحوار حب المحبوبة لعمر، ورغبتها فى الحديث عنه، كما يظهر الحوار ذكائها ومكرها فى الحديث عنه؛ لأنها لم تصرح بالحديث عنه مباشرة، ولكنها أشارت

إلى ذلك من طرف خفى، ويوضح الحوار أن المرأة أشد فهماً للمرأة، لأن النساء عرفن الشوق فى عينها فعلمن ما ترمى إليه وذكرن أنهن يرغبن فى لقاء عمر، ويظهر الحوار فى البيت الأخير عن شهرة عمر، وذيوع صيته بين النساء.

وقد يأتى الحوار بين المحبوبة ، وصديقاتها ليدل على اهتمامهن بعمر، وترصدهن له الطرقات. حتى فى موسم الحج يقول عمر على لسان إحدى محبوباته:

قَالَتْ : لِتِرْبٍ لَهَا مُلَاطِفَةٌ ... لَتُفْسِدِنَّ الطَّوَافَ فِى عُمَرَ

قَالَتْ :تَصَدَّى لَهُ لِيُبْصِرَنَا ... ثُمَّ اُغْمِزِيهِ يَا أُخْتُ فِى حَفَرِ

قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتُهُ فَأَبَى ... ثُمَّ اسْتَبَطْرَتْ تَسْعَى عَلَى أَثَرِى ٢٨/٨-١٠

يظهر الحوار فى البيت الأول بين المحبوبة وتربها أن عمر مثار نقاش وحوار على ألسنة النساء فى أى مكان، وأى زمان فبالرغم من موسم الحج، وأداء الفريضة والناس يطوفون إلا أن هذا لم يمنع النساء من الحديث عن عمر.

أما الحوار فى البيت الثانى فيظهر إصرار المرأتين على التصدى لعمر، ولفت انتباهه بأية وسيلة، وبكل الطرق، ولذلك تصدت له المرأة، ليس هذا فحسب بل إنها غمزته ليعلم أنه هو المقصود.

ويبدى الحوار فى البيت الثالث تمنع عمر، ورفضه لمحاولات المرأتين كما يبدى إصرار المرأتين على ملاحقته فبالرغم من رفضه لمحاولاتها إلا أنها لاحقاه وتتبعا طريقه ويدور الحوار بين "ثريا" وأترابها عن تعرضهن طريق ابن أبى ربيعة كيما يحيينه يقول عمر على لسان "ثريا":

قَالَتْ ثُرَيَّا لِأَتْرَابٍ لَهَا قُطُفٍ ... قُمْنَ نُحَيِّ أَبَا الْخَطَّابِ مِنْ كَثَبِ

فَطِرْنَ حَدًّا لِمَا قَالَتْ . وَشَايَعَهَا ... مِثْلُ النَّمَائِيْلِ مُوْهِنَّ بِالذَّهَبِ

قَالَتْ لَهُنَّ فَتَاةٌ كُنْتُ أَحْسَبُهَا ... عَزِيزَةً بِرَجِيعِ الْقَوْلِ وَاللَّعِبِ

هـذَا مَقَـامُ شُـئُوعٍ لاَ حَفَـاءَ بِـهِ الاَ تَخَفْنَ مِنَ الأَعْدَاءِ وَالرُّقَبِ٢٥٩/٧-٤

واضح من الحوار بين "ثريا" وأترابها أن عمر له قيمته عند نساء محتمعه. فهن يعرفن قدره، ولذلك يتعرض إليه كى يدخلن دائرة اهتمامه .

وقد يجيء الحوار على لسان المحبوبة وصديقاتها أو أخواتها عن عتاب عمر جراء ما فعله فى حقها ورغبتها فى وصل ما انقطع من وشائج الحب وقد يأتى الحوار مباشرة بينها وبين عمر للعتاب والوصل.

ومن أمثلة ذلك قوله على لسان "ثريا" محبوبته:

مَـنْ يَكُـنْ نَاسِـيًا فَلَـمْ أَنْـسَ مِنْهَـا وَهْـيَ تُـدْرِى لِـذَاكَ دَمْعـاً سِـجَاماً
يَـوْمَ قَالَـتْ وَدَمْعُهَـا يَغْسِلُ الكُحْـلَ أَرَدْتَ العَـدَاةَ مِنِّـا انْـصِرَامَا
قُلْـتُ: لَـمْ تَـصْرِمِى وَلَـمْ تُطِـعْ الـوَا شِى وَقَدْ زِدْتِ يَا الفُؤَادِ غَرَامَا٩٣/٨-١٠

يؤدى الحوار بين عمرو ومحبوبته دوراً مهماً فى عتابها له ، وحرصها على وصل ما انقطع من صلات بينهما كما تظهر رغبة الشاعر فى الاحتفاظ بحبها وودها من خلال الحوار بينهما.

وفى حوار بين المحبوبة وأختها عما اقترفته عمر نحوها فيقول عمر على لسان إحدى محبوباته "نعم":

وَقَالَـتْ لِفَتَـاةٍ عِنْدَهَـا حَـوْرَاءَ كَـالرَّئْمِ
أَهْـوَ يَـا أُخْـتُ بِاللِـه الـذِي لَـمْ يَكُـنْ عَـنْ إِسْـمِى
وَلَـمْ يُجَارِيَـا بِالْـوُدِّ أَخْفَـى بِـى وَلَـمْ يَكْـمِ
فَقَالَـتْ رَجْـعَ مَـا قَالَـتْ: نَعَـمْ يُخْفِيـهِ عَـنْ عِلْـمِ١٠٤/٧-١٠

يظهر الحوار بين "نعم" وأختها تالم المحبوبة من أفعال عمر تجاهها، ويبدو الحوار في صورة عتاب على الشاعر وما يفعله معها ولكن العتاب لا يوجه بصورة مباشرة نحو عمر.

وفي بعض الأحيان يكشف الحوار عن رغبة المحبوبة العارمة في لقاء عمر ورؤيته والأنس به من ذلك قوله على لسان إحدى محبوباته:

وأَرْسَلَتْ فَجَاءَتِنِي ... بَنَاتُهَا الْمُطَرَّفُ

أَنْ بِتْ لَدَيْنَا لَيْلَةً ... نَحْيَا بِهَا وَنَلْطُفُ

بَاتَتْ وَلِي مِنْ بَدْلِهَا ... حَمْشُ اللِّثَاتِ أَعْجَفُ

فَبِتُّ لَيْلِي كُلَّهُ ... تُرْشِفُنِي وَأَرْشِفُ

لَمَّا دَنَا ثَقَارُبُ ... مِنْ لَيْلَنَا وَمَصْرِفُ

قَالَتْ لَنَا وَدَمْعُهَا ... وَجْدًا عَلَيْنَا يَذْرِفُ

لَهْفِي وَلَيْسَ نَافِعِي ... عَلَيْكُمُ التَّلَهُّفُ ٢٩٩/٩-١٥

يكشف الحوار رغبة المحبوبة في لقاء عمر، وحرصها على ذلك اللقاء، ولذلك لم تتردد أو تتحرج في أن ترسل إليه ليأتيها لأن الظروف متاحة لذلك، ويظهر الحوار سعادة المحبوبة بلقاء عمر ليس هذا فحسب بل إن المحبوبة تتألم وتحزن لانقضاء الليل وطلوع النهار لأن عمر سيرحل. وقد تتمنى المحبوبة لقاء عمر لأن الظروف مهيئة والجو مناسب ويتحقق لها ما تمنت وفي ذلك يقول عمر على لسان إحدى المحبوبات:

لَيْتَ الْمُغِيرِيَّ الْعَشِيَّةَ أَسْعَفَتْ ... دَارٌ بِهِ لِتَقَارُبِ الْأَهْوَاءِ

إِذَا غَابَ عَنَّا مَنْ نَخَافُ وَطَاوَعَتْ ... أَرْضٌ لَنَا بِلَدَادَةٍ وَخَلَاءِ

قُلْتُ: ارْكَبُوا نَزُرِ الَّتِي زَعَمَتْ لَنَا ... أَنْ لَا نُبَالِيهَا كَبِيرَ بَلَاءِ

بَيْنَا تَسِيرُ رَأَتْ سَمَامَةَ مَوْكِبٍ ... رَفَعُوا دَمِيلَ الْعَيْسِ بِالصَّحْرَاءِ

قَالَتْ لِجَارَتِيهَا: أُنْظُرِي هَا مَنْ أُولى ... وَتَأَمَّلِي مَنْ رَاكِبُ الأَدْمَاءِ

قَالَتْ: أَبُو الْخَطَّابِ أَعْرِفُ زِيَّهُ ... وَرَكُوبَهُ لاَشَكَّ غَيْرَ مِرَاءِ

قَالَتْ: وَهَلْ؟ قَالَتْ نَعَمْ فَاسْتَبْشِرِي ... مِمَّنْ يُحِبُّ لُقِيَّهُ بِلَقَاءِ

قَالَتْ: لَقَدْ جَاءَتْ إِذاً أُمْنِيَّتِي ... فِي غَيْرِ تَكْلِفَةٍ وَغَيْرِ عَنَاءِ

٨-١/٣٠٩

يظهر الحوار مدى حب المحبوبة لعمر، ورغبتها فى لقائه، والمبيت معه لدرجة أن لقاءه أضحى حلماً وأملاً تطمع المحبوبة فى تحقيقه خاصة فى ظل غياب الرقيب، كما يكشف الحوار حب عمر للمغامرة، وركوبه الصعاب كى يصل إلى محبوبته، كما يعكس الحوار شهرة عمر، وتميز موكبه وزيه عن غيره من الرحال، ويوضح الحوار فرح المحبوبة بتحقيق أملها فى لقاء عمر.

ب- التراكيب البسيطة فى شعر عمر:

وهناك سمة أخرى من سمات الأسلوب عند عمر أحب الإشارة إليها وهى التراكيب البسيطة فى شعره، وأقصد بذلك أن الشاعر يعتمد على الجمل التى تبتعد عن التعقيد والتكلف حيث يؤدى المعنى الذى يجول بخاطره بالجمل البسيطة التى تعتمد بالطبع على مفردات غير مستهجنة أو غريبة أو شاذة ، ويجنح إلى الجملة القريبة من نفس مستمعه ، فهو يكتب لمستمع ذى صفات بخصوصها أعنى بذلك المرأة العربية فى عصره ومجتمعه ولذلك يلجأ إلى الكلمات والجملة والجمل الخفيفة الرشيقة التى تؤثر فى نفسها وتحرك قلبها ، وتشغل بالها، وتجعلها فى حالة من الترقب والتشوق للجديد من هذا الشعر والطريف منه ، وليس معنى هذا أن عمر له أسلوب ركيك ضعيف أو أنه يسرف فى بساطة التراكيب لدرجة الضعف والركاكة، لا ولكنه له أسلوب بسيط له قوته وبلاغته وتأثيره وجماله ، ولنتأمل بعض أبياته البسيطة القوية فى الوقت ذاته ولننظر قوله فى إحدى محبوباته :

سُـقِيَتْ بِوَجْهِـكِ كُـلُّ أَرْضٍ جُبْتَهَـا وَبِمِثْـلِ وَجْهِـكِ أَسْـتَقِي الأَمْطَـارَا

لَـوْ يُبْـصِرُ الثَّقِـفُ البَـصِيرُ جَبِينَهَـا وَصَـفَاءَ خَـدَّيْهَا العَتِيـقَ لَحَـارَا

وأرى جمالـك فـوق كـل جميلـة وجمـال وجهـك يخطـف الأبـصارا

١١-٩-١٥

يعتمـد ابـن أبى ربيعـة فى الأبيـات السابقة علـى التراكيب البسيطة التى تتماسك مفرداتها وجملها بسهولة ففى البيت الأول يرتكز عمر على الجملة الفعلية المبنية للمجهول "سقيت بوجهك كل أرض جبتها" التى يفصلها عن نائب الفاعل "كل أرض" فاصل هو الجار والمجرور "بوجهك" وقد أضاف التقديم إضافة اهتمام وتقدير وإظهار لجمال وجه المحبوبة. والجملة الفعلية للمجهول التى صدر لها الشاعر بيته الأول بسيطة المفردات، بسيطة التراكيب بالرغم من التقديم والتأخير. بالإضافة إلى ذلك فهى جملة معبرة عن مشاعره ، مقررة أن للمحبوبة وجه جميل ينبغى للشاعر أن يستقى به الأمطار فى كل أرض جرداء .

أما فى الشطر الثانى فيجنح عمر إلى التقديم والتأخير فى جملة فعلية مبنية للمعلوم حيث يقدم الجار والمجرور "بمثل وجهك" على الجملة الفعلية "استقى الأمطارا". وللتقديم والتأخير جماله الذى يلقى به على التراكيب حيث يفيد تخصيص استقاء الأمطار لوجه حسن، جماله غَيْرُ مألوف ، ولذا فإنه يستحق أن تنهمر له الأمطار فى وقت العسرة، تقديراً لهذا الجمال، وهذا قصر للجمال الرائع على وجه المحبوبة وحدها وأمثالها من النساء اللائى لهن وجه جميل مثل وجهها. وفى البيت الثانى يعمد الشاعر إلى البساطة فى تراكيبه فيلجأ إلى أسلوب الشرط بأداته "لـو" وجملة الشرط "يبصر الثقف البصير جبينها وصفاء خديها العتيق". وجملة جواب الشرط "لحارا" ويُلاَحَظ أن جملة الشرط جملة طويلة تستغرق مساحة كبيرة من البيت بأكمله ولها دلالتها التى تظهر تلألؤ ووضاءة، وتألق، ونصاعة وجه المحبوبة من خلال المبالغة، فالعالم بجمال

النساء، النصير بحسنهن لو رأى وجهها وجبينها لارتاب ولأحس بالروع والخوف من هذا الجمال. ويؤدى ذلك المعنى ويتممه جملة جواب الشرط القصيرة المعبرة المؤكدة باللام "لحارا". والبيت السابق جملة ومفرداته وتراكيبه بسيطة معبرة عن إحساس الشاعر بجمال وجه المحبوبة وبياض جبينها.

وفى البيت الثالث تأتى التراكيب بسيطة أيضاً حيث يعتمد عمر على الجملة الفعلية "وأرى جمالك فوق كل جميلة" وهى مكونة من فعل وفاعل ومفعول وظرف ليقرر أن جمال محبوبته فوق جمال كل امرأة جميلة ثم تأتى الشطرة الثانية بجملة تقريرية أيضاً "وجمال وجهك يخطف الأبصارا" تمنح للمحبوبة خاصية فريده فجمال وجهها فتان غير مُقاوَم. وتبدو بساطة التراكيب فى حديث عمر فى مطلع إحدى قصائده التى يتغزل فيها بـ "نعم" محبوبته :

أرِقْـــتُ وآبَنِـــى عَمِّـــى لِنَـــأْيِ الـــدَّارِ مِـــنْ نُعْـــمِ
فَأَقْـــصَرَ عَـــاذِلٌ عَنِّـــى وَمَـــلَّ مُمَرِضِـــى سُـــقْمِى
أَمُـــوتُ لِهَجْرِهَـــا حَزَنَـــاً وَيَحْلُـــو عِنْـــدَهَا صَـــرْمِى ١٠٤/١-٢

واضح من الأبيات الثلاثة السابقة أن عمر يؤدى المعنى بأبسط التراكيب فهو يقرر معتمداً على الجملة الفعلية "أرقت" والجملة الفعلية المعطوفة عليها "آبنى عمى" أنه مؤرق، متعب القلب، ثم يجيء التعليل فى الشطر الثانى ليذكر سبب الأرق وتعب القلب "لنأى الدار من نعم".

فالكلمات والجمل بسيطة معبرة . غير معقدة. ويرتكز ابن أبى ربيعة فى البيت الثانى على جملتين فعليتين مكونتين من فعل وفاعل وجار ومجرور فى الجملة الأولى "أقصر عاذلى عنى"، وفعل وفاعل ومفعول به فى الجملة الثانية "مل ممرضى سقمى" والجملتان تظهر أن حال عمر بعد رحيل المحبوبة فعازله أوقف لومه، لأن المحبوبة رحلت أما طبيبه فقد سئم شفاءه لتدهور حاله بعد رحيل المحبوبة. وفى البيت

الثالث تبدو بساطة التراكيب فى الشطرة الأولى بحملتها الفعلية "أموت لهجرها حزناً" حيث تبرز مشاعره نحوها من خلال الجملة الفعلية "أموت" التى يتبعها الشاعر بالتعليل السريع "لهجرها حزناً" . وتأتى الشطرة الثانية معتمدة على جملة فعلية هى "يحلو عندها صرمى" لكنها متناقضة فى المشاعر والأحاسيس مع الشاعر وهى جملة بسيطة فى تراكيبها مكونة من فعل وفاعل "يحلو صرمى" مفصولين بالظرف "عندها" .

ويخاطب ابن أبى ربيعة محبوبته "هند" معتمداً على أسلوب بسيط فيقول:

أَلاَ يَا هِنْدُ قَدْ زَوَّدْتِ قَلْبِي ... جَوَىَ حُزْنٍ تَضَمَّنَهُ الضَّمِيرُ

إِذَا مَا غِبْتِ كَادَ إِلَيْكِ قَلْبِي ... فَدَتْكِ النَّفْسُ مِنْ شَوْقٍ يَطِيرُ

فَدَيْتُكِ أَطْلِقِي حَبْلِي وَجُودِي ... فَإِنَّ اللَّه ذُو عَفْوٍ غَفُورُ ٤٠/٧-٣

تتضح بساطة الكلمات والتراكيب فى الأبيات السابقة ، فالشاعر يبدىء بيته الأول بـ "ألا" الاستفتاحية ثم تجيء أداة النداء "يا" لتنبيه المنادى "هند" لما سيجيء من الكلام ثم تأتى الجملة الفعلية التقريرية "قد زودت قلبى جوى حزن تضمنه الضمير" لتمتد وتطول حتى تصل إلى نهاية البيت.

والجملة بسيطة فى تراكيبها فهى مكونة من فعل وفاعل ومفعول أول، ومفعول ثانٍ، ثم تأتى الحال الجملة الفعلية "تضمنه الضمير"لتغلق المعنى وتتممه.

والجملة التقريرية السابقة تقرر حال قلب عمر تجاه محبوبته فقلبه مكبل بالأحزان والآلام من جراء حبها ، وتأتى جملة الحال لتدل على أن حال القلب السيئة تعدت إلى ضميره فعذبته ، وألمته.

وتتسم جملة الشرط "إذا ما غبت كاد قلبى يطير إليك" ببساطة التراكيب فأفعال مثل "غبت - يطير" وكلمة مثل "قلبى" تبدو فيها بساطة الاختيار ، وجمال التناسق ، والبعد عن التعقيد والتوعر.

وبالرغم من وجود تقديم وتأخير بين ثنايا جملة الشرط، وكذا وجود الجملة الاعتراضية - فدتك النفس- إلا إن ذلك لا يعقد الأسلوب، ولا يصعب فهمه إلا أنه لا يفقد بساطة الأسلوب فيقدم الجار والمجرور "إليك" على جملة جواب الشرط "يطير" وهو متعلق بها فأصل الجملة "كاد قلبى يطير إليك من شوق" كما قدم الجار والمجرور نفسه على اسم كاد "قلبى" والتصق الجار والمجرور خلف "كاد" عاكساً حبه وتقديره واهتمامه بمحبوبته، كما قدم عمر الجار والمجرور "من شوق" على جملة جواب الشرط "يطير" بالرغم من تعلقه بها أيضاً، ولذلك التقديم دلالة على مدى رغبته فى رؤيتها وتشوقه إليها، والتقديم والتأخير فى تراكيب الشاعر السابقة لا يعقد الأسلوب بل هو جزء من بساطة التراكيب.

ويفصل عمر بالجملة الاعتراضية "فدتك النفس" بين اسم كاد "قلبى" وخبرها "من شوق يطير"، ولهذا الفصل دلالته وهى أن عمر يفتدى بنفسه محبوبته من أن تشعر بحب يجعل قلبها يطير من بين جنبيها كما شعر من حبها، لأن فى هذا الشعور ألماً شديدا وحيرة قاتلة، ورغبة فى رؤية المحبوب تؤدى إلى الجنون، وفقدان العقل.

ثم يأتى البيت الثالث ليواصل بساطة التراكيب عند عمر فيبدأ الشاعر البيت بجملة فعلية فعلها ماض "فديتك" لتظهر قيمة المحبوبة عند عمر، ولتكون بمثابة المقدمة لجملة أخرى يرجوها عمر وهى أن تطلق المحبوبة عنانه وأن تجود عليه بالوصل "أطلقى حبلى وجودى" فيعتمد عمر خلالها على فعلى أمر متتاليين يظهر من خلالها عمر رغبته الشديد فى وصل "هند"، ثم يضرب الشاعر مثلاً للتسامح والغفران من خلال الجملة المؤكدة بـ "إنَّ" الناسخة بأن الله يعفو ويتجاوز عن الكثير والأحرى بها أن تصله وتسامحه . وتراكيب البيت تبدو بسيطة بالرغم من التقديم والتأخير والفصل . فالشاعر يتوخى البساطة ويرتكز على ألوان وأساليب بلاغية مختلفة ومتنوعة بحيث يبدو الأسلوب جميلاً بسيطاً مؤثراً فى الوقت ذاته.

د- تغزل عمر بالمرأة في أماكن

ومن خصائص الأسلوب عند عمر خصيصة ثالثة يجدر الإشارة إليها وهي تغزل عمر بالمرأة في أماكن لها قيمتها الدينية عند كل مسلم هي أماكن مناسك الحج كـ "منى" وموضع الطواف وغيرها وذلك في موسم الحج أثناء تأدية المسلمين أركان الحج وسننه.

ولابن أبي ربيعة (وجهة نظر) في تغزله بالمرأة في موسم الحج تتضح في قوله :

فَلَمْ أَرَ كَالنَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاظِرٍ وَلاَ كَلَيالِي اَلْحجِّ أَفْلَتْنَ دَا هَوَى ٦/٢٩٦

واضح أن لعمر رأياً بخصوصه في غزله أثناء موسم الحج حيث يقرر أن منظر "رمي الجمرات" – وهو أحد مناسك الحج – أفضل منظر يروقه ويمتعه كما يرى أن ليالي الحج – وهي ليالٍ حرم مباركات – أكثر إثارة لمشاعر العاشق من غيرهن من الليالي.

وبناءً على رؤية عمر السابقة الخاصة للغزل في موسم الحج فإنه لم يتحرج من وصف امرأة وقفت ترمي الجمار وذلك في قوله:

لَقَدْ عَرَضَتْ لِي بالمُحَصَّبِ مِنْ مِنى لِحَيْنِي شَمْسٌ سُتِّرَتْ بِيَمَانِ

بَدَا لِي مِنْهَا مِعْصَمٌ يَوْمَ جَمَّرَتْ وَكَفٌّ خَضِيبٌ زُيِّنَتْ بِبَنَانِ

فَلَمَّا الْتَقَيْنَا بالثَّنِيَّةِ سَلَّمَتْ وَنَازَعَنِي البَعْلُ اللَّعِينُ عِنَانِي

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَحَاسِبٌ بِسَبْعٍ رَمَيْتُ الجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ

فَقُلْتُ لَهَا عُوجِي فَقَدْ كَانَ مَنْزِلِي حَضِيباً لَكُم نَاءٍ عَنِ الْحَدَثَانِ

فَعُجْنَا فَعَاجَتْ سَاعَةً فَتَكَلَّمَتْ فَظَلَّتْ بِهَا العَيْنَانِ تَبْتَدِرَانِ

٦-١/١١٣

في موضع "رمي الجمار" – الذي هو منسك من مناسك الحج – يقف ابن أبي ربيعة راصداً امرأة متغزلاً في جمالها واصفاً ملامحها ، متحدثاً معها ومحدداً موعداً

للقائها ، كل ذلك أثناء أدائه لشعيرة من شعائر الحج مع غيره من المسلمين ، ولذلك فإنه فقد تركيزه ولم يعلم عدد الحصى الذى قام برميه.

وفى أبيات أخرى يتغزل عمر بامرأة تمشى مع نساء حتى لأداء فريضة الحج فيقول:

قَدْ جَاجَ حُزْنِى وَعَادَنِى ذِكَرِى ... يَوْمَ الْتَقَيْنَا عَشِيَّةَ النَّفَرِ

بِالْفَجِّ مِنْ نَحْوِ دَارِ عُقْبَةَ ... وَالْحَجُّ سَرِيْعٌ الطَّوَافِ وَالصَّدَرِ

إِذْ كِدْتُ لَوْلاَ الْحَيَا يُوَرِّطُنِى ... أُبْدِى الَّذِى قَدْ كَتَمْتُ بِالنَّظَرِ

٣-١/٢٩

وسط زحام الحجيج بعد ليلة النفر، واستكمال شعائر الحج بالطواف حول الكعبة والاستعداد للرحيل فإذا بعمر ابن أبى ربيعة يحدد موعداً مع إحدى محبوباته ويلتقى معها، ولولا حياؤه لأبدى ما كتم من رغبات نحوها.

لا يمنع عمر مانعٌ من اتخاذه "أماكن الحج" أماكن لقاءٍ بينه وبين من يحب وفى ذلك يقول :

مَا نَلْتَقِى إِلاَّ إِذَا ... نَزَلَتْ مِنِى بِقِبَابِهَا

فِى النَّفْرِ أَوْفِى لَيْلَةِ ... النَّحْصِيبِ عِنْدَ حِصَابِهَا

٧-٦/٢٠٩

يتخذ ابن أبى ربيعة من "منى" فى "ليلة النفر" أو "ليلة التحصيب" مكاناً للقاء محبوبته. وقد تتحدى النساء لعمرَ أثناء أدائه لفرائض الحج وسننه ومن ذلك قوله على لسان إحدى النساء:

قَالَتْ لِتِرْبٍ لَهَا مُلاَطِفَةٌ ... لَتُفْسِدِنَّ الطَّوَافَ فِى عُمَرِ

قَالَتْ:تَصَدَّى لَهُ لِيُنْصِرَنَا ... ثُمَّ اغْمِزِيهِ يَا أُخْتُ فِى حَفَرِ

قَالَـــتْ لهـــا:قَـــدْ غَمَزْنُـــه فَـــأَبى ثُـمَّ اسْـبَطَرَّتْ تَـسْعَى عَلَـى أَثَـرِى

١٠/٨/٢٨

تظهر الأبيات السابقة اهتمام النساء بعمر أثناء قيامه بالطواف، وعدم تحرجهن من لفت انتباهه بطرق شتى وهو يطوف بالكعبة،ويبدى البيت الأخير عدم استجابته لكل محاولاتهن .

وفى أبيات أخرى تلفت المرأة نظر عمر أثناء استلامه للحجر الأسود .. وفى ذلك يقول على لسانها:

إذا مـــــا رَاحَ فاسْتَلمِـــــى إنْ دَنَـــا فـــى طَوْفِـــهِ الْحَجَـــرَا

وَأشِـــفِّى البُـــرْدَ عَنْـــك لـــهُ كَـــىْ تَـــشوقيهِ إذا نَظَـــرَا

فَـــأَرَتْنِى سُـــفِراً حَـــسَناً جِلْتُـــه إذا أَسْـــفَرَتْ قَمَـــرَا

١٥-١٣/٤٢

تحاول المرأة أن تجذب نظر ابن أبى ربيعة نحوها بأن تريه ما يسره ويشوقه وهى لا تبالى، ولا تتحرج من ذلك، ولا تأبه بالطواف ولا باستلام الحجر الأسود.

د- طريقة عمر فى الكناية :

ومن خصائص الأسلوب عند ابن ابى ربيعة خصيصة تتعلق بالكناية فى شعره حيث تميز أسلوبه بكنايات بخصوصها تعبر عن مشاعره تجاه محبوبته، وقد كرر عمر هذه الكنايات فى شعره بتراكيبها أو بتراكيب قريبه من التراكيب الأولى.

ومن الكنايات التى تكررت فى شعر عمر كناية عن محبوبته المترفة الناعمة الذرية بأسلوب له خصوصيته ويتجلى ذلك فى قوله:

لَـــوْ دَبَّ دَرٌّ رُوَيْـــداً فَـــوْقَ قرقرهـــا لأثَّرَ الدَّرُّ فَوْقَ الثَّوْبِ فِى النَّشرِ(١)

(١) الذر : صغار النمل، القرقر :ثياب المرأة، النشر : الجلد، الديوان ص ٢١٦.

لَـوْ دَبَّ ذَرٌّ رُوَيْـداً فَـوْقَ قرقرهـا لأثـر الـذرُّ فَـوْقَ الثَّـوْبِ فـى النَّـشْرِ

٥/٨

فهذه الكناية تنم عن محبوبة ثرية رقيقة ، مرهفة الحس والشعور. وقد كرر ابن أبى ربيعة نفس الكناية – مع الاختلاف فى التراكيب – فى قوله :

لَوْ دَبَّ ذَرٌّ رُوَيْداً فَوْقَ ضَاحِي جِلْدِهَا لأَبَـانَ مَـنْ آثَـارِهِنَّ حُـدُورُ ٦/١٣

وظهرت هذه الكناية فى قصيدة أخرى فى قوله :

مُنَعَّمَـةٌ لَـوْ دَبَّ ذَرٌّ بِجِـسْمِهَا لَكَـانَ دَبِيـبُ الذَّرِّ فـى الْجِسْمِ يَكْلَمُ

٦/٨٢

وهناك كناية ثانية تكررت فى شعر عمر وهى كنايته عن محبوبته التى امتلأت أردافها وثقلت عجيزتها وهى أكثر الكنايات وروداً فى شعره.

ومن أمثلة ذلك قوله:

تَكَادُ مِنْ ثِقَلِ الأَرْدَافِ إِنْ نَهَضَتْ إلى الـصَّلاَةِ بَعِيـدَ النُّـسْرِ تَنْتَبِـرُ

٦/٩

وتتكرر الكناية ذاتها فى قصيدة أخرى يقول فيها :

تَكَـادُ رَوَادِفُهَـا إِنْ نَـاتْ إِلى حَاجَـةٍ مَوْهِنـاً تَنْبَتِـرْ ١٤/٥٣

وفى بيت آخر :

وَتَكَـادُ الْعَجْـزُ إِنْ نَهَـضَتْ بَعْـدَ طُـولِ الْبَهْـرِ يَنْتَبِـرُ

٨/٤١

ومن الكنايات التى تكررت فى شعر ابن أبى ربيعة وكان لها وروداً عددياً أنه يكنى عن حلاوة مذاق رضاب المحبوبة بالعسل أو الخمر أو هما معا ومن ذلك قوله :

تَفْتَرُّ عَنْ ذِي غُرُوب طَعْمُه عَسَلٌ مُفَلَّجُ الثَّنْيَتِ رَفَّافٍ لَه أَشَرُ[1]

٥/١

ومن أمثلة كنايته عن حلاوة رضاب المحبوبة بالخمر قوله :

كَأَنَّ فَاهَا إذا مَا حِئْتُ طَارِقَهَا خَمْرٌ بِيَبْسَانَ أَوْ مَا عَتَّقَتْ جَدَرُ

٦/١١

ومن أمثلة كنايته عن مذاق رضاب من يحب بالشهد المخلوط بالخمر قوله :

فَبِتُّ أَسْقَى عَتِيقَ الخَمرِ حَالَطَهُ شَهْدٌ مُشَارٌ وَمِسْكٌ حَالِصٌ دَفِرُ[2]

١٨/٦

وقد تكررت الكناية نفسها فى قوله فى قصيدة أخرى:

فَأَدَافَتْنِي لَذِيذاً خِلْتُهُ رَاحاً حَتِيماً

شَابَهُ شَهْدٌ وَثَلْجٌ نَفَعَا قَلْباً كَلِيماً

١٦-١٧

ومثل الكناية السابقة قوله:

وَكَأَنَّ فَاهَا بَعْدَمَا رَقَدَتْ تَجْرِي عَلَيْهِ سُلَافَةُ الخَمْرِ

شَرِقاً بِدَوْبِ الشَّهْدِ يَخْلِطُهُ بِالزَّنْجَبِيلِ وَقَارَةِ النَّجْرِ

٥-٤/٢٧

ويتضح من العرض السابق أن لعمر طريقته الخاصة التى تميز بها، وقد كرر كنايات بخصوصها فى شعره وتكرار هذه الكنايات يعكس خصوصيتها ، وارتباطها بأسلوبه .

---

(١) تفتر: تضحك، وذى غروب: فمها المحدد بالأسنان، ومفلج الثنيت: اراد أن أسنانها متباعدة غير ملتصقة الديوان ص ١٢٣.

(٢) عتيق الخمر: رضابها وماء فمها، شبهه بالخمر، الشهد: العسل، مشار: أخذ من كوراة النحل الديوان ص ١١٥.

الخاتمة

هذه دراسة بلاغية بعنوان "بديع التراكيب فى شعر عمر بن أبى ربيعة" تطبق منهج د. منير سلطان فى البلاغة، وهذا المنهج يعتمد على ان البلاغة كل لا يتجزأ ويرتكز على ركيزتين هما التأصيل والتجديد.

وقد بدأت الدراسة بتمهيد بعنوان "الروافد الثقافية لعمر" تناولت فيه دراسة المؤثرات التى أثرت فى شعر عمر وهى مؤثرات متعددة منها النشأة، المجتمع، والأحداث السياسية.

وقد تناولت دراسة بلاغة الكلمة عند عمر فى الفصل الأول، ودرست البنية الصرفية للكلمة وتأثيرها البلاغى، والتعريف والتنكير، والضمائر، والكلمة الإسلامية.

أما الفصل الثانى فقد خصصته لدراسة بلاغة الجملة، ودرست الجملة الخبرية الفنية من أمر، ونهى، واستفهام، وتعجب، وغيرها. وأنهيت الفصل بدراسة قصيدة كاملة درست خلالها الجملة الخبرية الفنية.

وقد خصصت الفصل الثالث لبلاغة الجمل عند عمر، ودرست فيه الإيجاز، والإطناب، والفصل والوصل عند عمر. وفى الفصل الرابع درست الخصائص المميزة لأسلوب عمر ثم أنهيت دراستى بنتائج البحث، والمراجع والمصادر التى اعتمدت عليها.

نتائج الدراسة :

(١) ساعدت نشأة عمر فى أسرة مترفة على تدفق موهبته الشعرية، ولذا ابتعد عمر عن التكسب بالشعر مما أتاح له أن يكتب فى الغرض المحبب إلى نفسه وهو الغزل.

(٢) تأثر عمر بشعر امرئ القيس القصصى كما تأثر بقصص الأعشى ولكن عمر كان له أسلوبه القصصى الذى ميزه عن هذين الشاعرين.

(٣)وجد شعر عمر الغزلي طريقه إلى نساء عصره فكن ينتظرن منه المزيد والجديد وذلك لإعجابهن بشعره، ولأن المجتمع المكي في ذلك العصر كان مهيأً لتقبل فن الغزل فالمال متوافر، والجواري الفارسيات والروميات قابعات في المجتمع والغناء منتشر في أرجاء مكة.

(٤)اعتمد عمر على أداة التعريف أكثر من اعتماده على التنكير وتنوع التعريف عند عمر من تعريف بالعلمية، والضمائر والتعريف بـــ "ال". ولعل اعتماده على التعريف جاء بسبب عدم تحرجه من التعبير عن مشاعره تجاه محبوباته وبناءً عليه فقد ذكر عمر أسماء محبوباته صراحة في شعره صحيح أنه ذكر أسماء مستعارة لمحبوباته إلا أن كثيراً من أسماء المحبوبات أسماء حقيقية ذكرها المحقق في بداية الديوان-.

(٥)ضمير المتكلم "أنـــا" المعبر عن ذات عمر – والذي ورد كثيراً بصيغة الإضمار هو الضمير السائد من حيث العدد في شعر عمر وفي ذلك دلالة على الأنوية والنرجسية التي تجعل كل النساء يدرن حوله، ويطفن بجماله وذلك حسب تصور عمر هذه نقطة أما النقطة الثانية فهي أن عمر – غالباً- ما يكون الذات المؤثرة لأحداث القصص.

(٦)يعد ضمير الغائب "هـــي" من الضمائر المهمة التي وردت في شعر عمر لأنه يعبر عن الطرف الثاني في شعر عمر وهو محبوبته. وتتضح أهمية هذا الضمير لأنه يعبر عن المرأة في شعر عمر فهو يظهر مشاعرها وانفعالاتها.

(٧)وردت الكلمة الإسلامية كثيراً في شعر عمر، وتنوعت ما بين القسم "بـــالله" أو الدعاء إلى الله تعالى أو بشهادة الله تعالى على صدق محبة عمر لمحبوبته كما وردت كلمات إسلامية أخرى مثل الطواف، والحج، ومنى، والبيت العتيق والصفا، والمقام، والركن ولعل السبب في ذلك:

(أ) وجود عمر فى بيئة إسلامية، وقد تشربت هذه البيئة فى قلب عمر وعقله وثقافته ولذا تظهر ثقافة هذه البيئة – وهى ثقافة إسلامية خالصة- فى انفعال عمر وكتابته للشعر.

(ب) أن عمر اتكأ على معظم هذه الألفاظ فى القسم لمحبوباته على صدق مودته لأنه يعلم أن هذه الألفاظ والأقسام لها قدسيتها التى تصبغ حديثه بصبغة الصدق.

(ت) أن عمر لم يتورع وهو الشاعر الغزِل من قول الشعر فى أى مكان حتى لو كان هذا المكان له قدسيته عند المسلمين- مثل الكعبة فى موسم الحج- وكان يجد فى ذلك فرصة لإثارة مشاعره، وتدفق أشعاره.

(٨) وُفِّق عمر إلى حد كبير فى استخدام بعض الألفاظ الإسلامية مثل استخدامه للقسم "بالله" والدعاء إلى الله تعالى ولكنه لم يوفق فى أنه أشهد الله على صدق مشاعره لأن شهادة الله تترفع عن مثل هذه المواقف. كما ان غزله فى موسم الحج وفى اماكن إسلامية مثل "منى"، و"الصفا"، وغير ذلك لم يكن موفقاً لأن لهذه الأماكن قيمتها التى تنأى بها عن نطاق الغزل.

(٩) من الجمل الخبرية التى وردت فى شعر عمر الأمر، والنداء، والقسم، والاستفهام والنفى، والنهى، والتعجب ولكن جملة الأمر هى أكثر الجمل التى وردت فى شعر عمر من ناحية العدد، والأمر عند عمر خرج عن مقتضى الظاهر إلى أغراض شتى منها الرجاء، والتعجب والعتاب.... إلخ ولعل إكثار عمر من جملة الأمر لأن هذه الجملة تتناسب مع فن الغزل فعمر يحتاج دائماً أن يأمر محبوباته ليعاتبهن أو يرجوهن أو غير ذلك.

(١٠) تميز شعر عمر القصصى بالحوار سواءً أكان بين عمر ومحبوباته أو بين عمر وأصدقائه أو بين النساء أنفسهن، حيث يمثل الحوار سبعةً وعشرين بالمائة من شعره، ولعل من الطبيعى أن يعتمد عمر على الحوار لتأثره بمن سبقه

من الشعراء، وليعبر عن مشاعره تجاه محبوباته ومشاعرهن نحوه. وليملأ جزءاً كبيراً من ديوانه فى الغزل الذى يربوا على أربعة آلاف بيت من الشعر.

(١١) تميز شعر عمر بالتراكيب البسيطة بمعنى أن عمر يعبر عن مشاعره بجمل بسيطة تعتمد على مفردات غير غريبة أو مستهجنة ولعل السبب فى ذلك أن عمر يكتب لمستمع له خصوصيته وهو المرأة. ولذلك اعتمد عمر على الجمل الخفيفة والتعبيرات الرشيقة التى تجد صدىً عند النساء وتجعلهن دائماً فى حالة ترقب. وانتظار إلى المزيد والمزيد من شعر عمر.

المصادر و المراجع

أولاً المصادر

القرآن الكريم

١- **إبراهيم أنيس (دكتور)**: دلالة الألفاظ- مكتبة الأنجلو المصرية – ط الثالثة (١٩٧٦م).

٢- **ابن جني**: الخصائص- تحقيق محمد على النجار- دار الكتب المصرية (١٣٧١هـ-١٩٥٢م).

٣- **ابن سنان الخفاجي**: سر الفصاحة- تحقيق عبد المتعال الصعيدى- مطبعة صبيح (١٩٦٩م).

٤- **ابن منظور**: لسان العرب- مكتبة تحقيق التراث- بيروت- لبنان.

٥- **ابن هشام الأنصارى**:

- **مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب**: تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد المكتبة العصرية- صيدا – بيروت (١٩٩٢م)
- **شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب**: تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد- الطبعة بدون تاريخ.

٦- **أبو أوسى إبراهيم الشمسان (دكتور)**: الجملة الشرطية عند النحاة العرب- تقديم د.محمود فهمى حجازى، ط الأولى(١٤٠١هـ-١٩٨١م) مطابع الدجوى عابدين.

٧- **أبو هلال العسكرى**: الصناعتين- تحقيق البجاوى وأبو فضل إبراهيم- مطبعة الحلبى.

٨- **أحمد حسن الزيات**: دفاع عن البلاغة- مطبعة الرسالة- القاهرة(١٩٤٥م).

٩- **أحمد الشايب**: الأسلوب- تصوير مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة (١٩٥٥م).

١٠- **أحمد ضيف**: مقدمة لدراسة بلاغة العرب- ط الأولى(١٩٢١م).

١١- **أحمد مصطفى المراغى**: علوم البلاغة- المطبعة الحديثة- القاهرة(١٩١٥م).

١٢- **أمين الخولى**:

- مناهج التجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب- دار المعرفة – ط الأولى (١٩٦١م)
- **فن القول**: مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة (١٩٦٦م) قدم للطبعة د. صلاح فضل.

١٣- **الجاحظ**: البيان والتبيين- تحقيق عبد السلام هارون- الخانجى – القاهرة.

١٤- **جبر ضومط**: فلسفة البلاغة- المطبعة العثمانية – لبنان(١٨٩٨م).

١٥- **جورجى زيدان**: تاريخ آداب اللغة العربية- تحقيق د. شوقى ضيف- طبعة الهلال.

١٦- **جـورجـى غريـب**: الغزل تاريخه وأعلامه عمر بن أبى ربيعة وجميل بن معمر دار الثقافة – بيروت – لبنان- سلسلة الموسوع فى الأدب العربى الطبعة بدون تاريخ.

١٧- **حسان أبو رحاب**: الغزل عند العرب- القاهرة (١٣٦٦هـ-١٩٤٧م).

١٨- **حلمى خليل (دكتور)**: الكلمة دراسة لغوية ومعجمية- الهيئة المصرية للكتاب فرع الإسكندرية(١٩٨٠م).

١٩- **الرمانى**: النكت فى إعجاز القرآن الكريم . ضمن ثلاث رسائل فى القرآن الكريم: تحقيق محمد خلف الله أحمد و د. زغلول سلامة – دار المعارف – ط الثانية(١٩٦٨م).

٢٠- **الزمخشرى: الكشاف**: تحقيق مصطفى حسين أحمد- دار الريان للتراث القاهرة – دار الكتاب العربى – بيروت لبنان – ط الثالثة (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

٢١- **سامى الدهان (دكتور)**: الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية دار المعارف (١٩٥٤م).

٢٢- **شكرى عياد (دكتور)**: اللغة والإبداع – طبعة أصدقاء الكتاب – ط الأولى (١٩٨٨م).

٢٣- **شكرى فيصل (دكتور)**: تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبى ربيعة- مطبعة دمشق(١٣٧٩هـ-١٩٥٩م).

٢٤- **شوقى ضيف (دكتور)**: التطور والتجديد فى الشعر الأموى- دار المعارف ط الثامنة منقحة – بدون تاريخ.

٢٥- صلاح مصيلحى(دكتور):التقليد والتحديد فى الشعر العربى حتى نهاية العصر الأموى – دار المعرفة الجامعية(١٩٩١م).

٢٦- طه حسين (دكتور) : حديث الأربعاء- دار المعارف بمصر – ط الثانية عشرة بدون تاريخ.

٢٧- عباس حسن: النحو الوافى – ط الحادية عشرة – دار المعارف – بدون تاريخ.

٢٨- عباس محمود العقاد: شاعر الغزل عمر بن أبى ربيعة- مطبعة المعارف – مصر – سلسلة اقرأ (١٩٥١م).

٢٩- عبد الرءوف شلبى: ديوان عنترة بن شداد قدم له أ/ إبراهيم الإبيارى وأعيد طبعه فى سلسلة الروائع مكتبة الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب(٢٠٠١م).

٣٠- عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية فى النحو العربى – ط الثانية (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م) الخانجى – القاهرة.

٣١- عبد القادر القط (دكتور): فى الشعر الإسلامى والأموى- مكتبة الشباب (١٩٨١م).

٣٢- عبد القاهر الجرجانى: دلائل الإعجاز- تحقيق أ/ محمود شاكر- مكتبة الخانجى – القاهرة.

٣٣- على الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة – مطبعة المعارف (١٩٣٩م).

٣٤- قدامة بن جعفر: نقد الشعر- تحقيق كمال مصطفى الخانجى (١٩٦٣م)

٣٥- القـــزوينـى: الإيضاح فى علوم البلاغة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ط الأولى (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).

٣٦- كـــارل بروكلمـــان: تاريخ الأدب العربى – تحقيق د. عبد الحليم النجار ط الخامسة – دار المعارف (١٩٨٣م).

٣٧- محمـد حماسـة عبـد اللطيـف (دكتـور): الجمل فى الشعر العربى مكتبة الخانجى – القاهرة – ط الأولى (١٩٩٠م).

٣٨- مصطفى صادق الرافعى: تاريخ آداب اللغة العربية – دار الكتاب العربى بيروت – لبنان.

٣٩- المعجم الوجيز- دار التحرير للطباعة والنشر ط الولى (١٩٨١م) قدم للطبعة إبراهيم مدكور.

٤٠- نجيـب البـهبيتى (دكتـور): تاريخ الشعر العربى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى- مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة (١٩٥٠).

٤١- يحيى بن حمزة العلوى: الطراز- تحقيق دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٤٢- يوسف أحمد المطوع (دكتور): الموسوعة النحوية الصرفية- دار الكتب الإسلامية- بدون تاريخ.

ثانياً المراجع :

١- **شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة:** تحقيق على مهنا - دار الكتب العلمية بيروت (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

٢- **ديوان عمر بن أبى ربيعة:** تحقيق دكرم البستانى- دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).

٣- **ديوان عمر بن أبى ربيعة شاعر الحب والجمال:** تحقيق د.محمد عبد المنعم خفاجى و د. عبد العزيز شرف- المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة - بدون تاريخ طبعة.

٤- **شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة:** تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد دار الأندلس - بيروت- الطبعة بدون تاريخ.

٥- **ديوان عمر بن أبى ربيعة:** طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة(١٩٧٨م).

٦- **بديع التراكيب فى شعر أبى تمام:** د.منير سلطان- منشأة المعارف الإسكندرية(١٩٩٧م) جزآن.

٧- **بلاغة الكلمة والجملة والجمل:** د. منير سلطان- منشأة المعارف بالإسكندرية- ط الأولى(١٩٩٢م).

٨- **الفصل والوصل فى القرآن الكريم**: د. منير سلطان- منشأة المعارف بالإسكندرية – دراسة فى الأسلوب – ط الثانية (١٩٩٧م).

ثالثاً الرسائل العلمية

١- "**تشبيهات عمر بن أبى ربيعة**" رسالة ماجستير- فوزى محمد غانم. إشراف د.فريد النكلاوى (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) كلية اللغة العربية – القاهرة.

٢- " **شخصية عمر بن أبى ربيعة وأثرها فى شعره**" رسالة دكتوراه – نادية هانم أحمد عامر. إشراف د. محمد مصطفى هدارة(١٩٨١م) كلية الآداب جامعة الإسكندرية.

٣- "**شعر عمر بن أبى ر بيعة دراسة أسلوبية**" رسالة ماجستير ممدوح محمد عبد الرحمن. إشراف د. خليل حلمى خليل، ود. عبد المجيد عابدين – كلية الآداب جامعة الإسكندرية.